

العقود الشرعية القديمة في الجزائر ومعايير ترجمتها

- دراسة وصفية تحليلية لبعض النماذج -

Old Muslim Affairs Contracts in Algeria and their Translation's Criteria -Analytical Descriptive Study of some Samples-

نجاة سعدون

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

nadjet20@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022-01-30	تاريخ التقييم: 2022-05-22	تاريخ القبول: 2022-06-15
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص

تعدّ العقود مادّة دسمة في الترجمة لتنوّع قوالها وأشكالها ومضامينها على مرّ الزّمن. لقد تناولت هذه الدراسة العقود الشرعية القديمة في الجزائر وترجمتها للفرنسية، وسعت إلى وصفها وتحليلها ومقارنتها من حيث الشكل والمضمون. إن ترجمة هذه الوثائق مثيرة للاهتمام لما فيها من الحرص على الدقة والجودة والأمانة في نقل المعنى. لقد تطرقنا لترجمات بعض الجمل والعبارات الواردة فيها لتنبين أهم التقنيات المعتمد عليها مركزين في ذلك على ثلاثة معايير شكلت قضايا رئيسية في الترجمة وهي الأمانة والمعنى وتعذر الترجمة. كلمات مفتاحية: العقود الشرعية؛ المعنى؛ الأمانة؛ تعذر الترجمة؛ تقنيات الترجمة.

Abstract

Contracts have a great importance in translation due to the diversity of their patterns, forms and contents over time. This study tackles the old Muslim affairs contracts in Algeria and their translation into French. We analyze and compare them in terms of form and content. Their translation is so interesting because of the effort that appears through the accuracy, quality and fidelity. We treated the translations of some of their expressions to identify the most important techniques, focusing on three criteria: fidelity, meaning and untranslatability.

Keywords: Muslim affairs contracts; meaning; fidelity; untranslatability; translation techniques.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنّ العقود الشرعية قديمة العهد في الجزائر إذ يرجع ظهورها إلى الحقبة العثمانية. وقد اختفت فترة من الزمن عند دخول المستعمر الفرنسي ثم عادت للظهور بتسمية جديدة: عقود المحاكم الشرعية. والمحاكم الشرعية هي تلك التي تعالج شؤون المسلمين لذلك غالبا ما نجد أن ترجمتها الفرنسية تكون *actes des tribunaux des affaires musulmanes* أو *actes des affaires musulmanes* أو *actes de Mahkamas* حيث افترض مصطلح "محكمة" لوحده للإشارة إلى المحاكم الشرعية بالفرنسية.

إن ترجمة هذه العقود تثير الاهتمام لما فيها من مصطلحات وعبارات أصيلة، ولأسلوب تحريرها الشيق وبنية نصوصها المميّزة وترتيب فقراتها وشكل خطوطها ونوع ورقها أيضا. فهل تخضع ترجمتها يا ترى لمعايير وتقنيات محددة؟ أم في ذلك حرّية التصرف للمترجم في التعامل معها؟

قد يبدو أن ترجمتها مهمة يسيرة لقصر طول النصوص، غير أنها صعبة ودقيقة تتطلب بذل الجهد وإعمال الفكر وتجنيد المصادر واتباع ضوابط من أجل احترام معايير أساسية في الترجمة وهي الأمانة والمعنى وتعذّر الترجمة. لذلك نفترض أن يلجأ المترجم كثيرا إلى تقنيات غير مباشرة كالتطويع والتكافؤ والشرح والإضافة والتصّرف في الترجمة.

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهم ضوابط ترجمة العقود الشرعية القديمة في الجزائر ومدى احترامها لمعايير الأمانة ونقل المعنى الدقيق وتفادي تعذّر الترجمة في سياقات ثقافية ودينية مميّزة. لذا اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي في ذلك، حيث سعينا إلى وصف العقود وصفاً دقيقاً من حيث الشكل والمضمون وتتبعنا أثر خطوطها وأصول مصطلحاتها وعباراتها. ثم اعتمدنا على التحليل في معالجة ترجماتها ومقارنة أساليب مترجميها، واستقرّنا توجهاتهم في الترجمة لإبراز أهم التقنيات التي وظّفوها.

2. الدراسة الوصفية للعقود الشرعية:

هناك عقود تعود إلى الفترة العثمانية وأخرى إلى المرحلة الاستعمارية، لاحظنا أنّ جميعها مخطوطة على ورق رسمي. وأبرزها الوقف والفرائض والهبات والوصايا وغيرها.

1.2. عقود الفترة العثمانية:

كانت تصدر عن المحاكم الشرعية وتحزّر على يد القاضي المعين بها، وتتميز بما يلي:

- من حيث الشكل:

أول ما نلاحظه هو تقييد نصّ العقد بخط يد محرّره القاضي الذي غالبًا ما يكون غير واضح لاهتراء ورق العقد وتقادمه. وتتميّز بطولها وامتدادها على كامل الورق الخشن والذي غالبًا ما يكون ذا أحجام مختلفة الطول غير مُقيّدة بمعايير، لونه يميل إلى الخشي المصفّر وهو الورق الرّسمي آنذاك. يعتمد المحرّز على الخط المغربي المتميّز عن باقي الخطوط لانعدام موازين كتابته فهو ذو قدرة غير محدودة على التّطوّر¹ وهو خطّ مرّن وزخرفي يتنوّع حسب محرّز الوثيقة.

والعقد مقسّم إلى أربعة أجزاء: الهامش الأيمن حيث يذكر نوع العقد ورقمه وتاريخه وأحيانًا تُذكر بعض البيانات الهامة أو الشّرح أو الإحالات في حالة السهو. ويعدّ وسط العقد المساحة الكبرى التي تتضمّن نصّ العقد كاملاً. وأسفل العقد توضع بصمات أصابع الأطراف والشّهود والمحرّز وتوقيعاتهم. ويتضمّن القسم الرابع الأختام الرّسمية كختم القاضي والمحكمة والمترجم الشّري وختم التّسجيل والطّابع، وقد يكون أعلى العقد أو أسفله.

وما يثير الدهشة أن نصّ العقد وحدة كاملة غير مقسّم إلى فقرات، يكتب من الهامش الأيمن إلى الهامش الأيسر ومن الأعلى إلى الأسفل. والخط المعتمد هو الخط المغربي الذي تنعدم فيه قواعد الكتابة وموازينها، فالحرف الواحد قد يكتب بأكثر من طريقة في الوثيقة نفسها. ما يميّز الخط المغربي كذلك أنه يحتفظ ببعض الرّواسب التي ورثها من الخط الكوفي² الذي يعتمد على الرّخرفة كثيرًا. ومن ذلك أنّ الألف المتصلة تنحدر قليلاً عن مستوى السّطر بزائدة كوفية، كما أنّ حروف الكاف والصاد والضاد والطّاء والظّاء (ك ص ض ط ظ) تكون ممتدّة بما يذكر بالخطّ الكوفي.

عند التّدقيق في الألف واللام والطّاء والظّاء (ا ل ط ظ) نرى أنّها قلّما تحتفظ بشكلها العمودي إذ تكون في شكل منحني تحمل في أعلاها ما يشبه النّقطة الغليظة. وقد

ترسم نقطة حرف الظاء على يسار الشّلة. ولا ترسم عادة السّينية بعد حرفي الصّاد والضّاد (ص ض)، وقد ترسم نقطة الضاد داخل الحرف.

تتخذ بعض الحروف امتدادا مبالغا فيه إذا كانت في آخر الكلمة وأساسا منها حروف السّين والشّين والياء واللّام والنّون (س ش ي ل ن). كما قد لا تكتب نقط الحروف النّهائية في الفاء والقاف والنّون (ف ق ن). وما يميّز الخطّ المغربي أيضًا رسم الفاء بنقطة من أسفل والقاف بنقطة واحدة من فوق.³

- من حيث المضمون:

تمتاز هذه العقود بأسلوب عربي فريد من نوعه، دائمًا ما تستهلّ بالحمدلة وتوحيد الله عزّ وجلّ، نحو: "الحمد لله وحده". وتُضاف إليها في بعض المرّات الصّلاة على النبيّ، نحو: "وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه". وتختلف هذه العبارات الاستهلاكية من محرّر إلى آخر.

ثمّ يعرّف المحرّر بنوع العقد نحو: "هذا رسم بيع"، ليذكر أسماء كلّ من المحرّر والشّهود نحو: "لدى الشّيخ الإمام الفقيه فلان بن فلان وشهيديه ..."، ثمّ بعد ذلك أطراف العقد بأسمائهم وتواريخ ازديادهم ومكان سكناهم دون تحديد صفاتهم كالبائع والشاري، بل يذكر فعلاً من الأفعال الدّالة على ذلك نحو: "باع الأوّل للثاني قطعة أرض مساحتها كذا"، ليحدّد موضوع العقد والغرض منه وشروطه والرّضا به وقبوله. ويختتم بشهادة الشّهود على صحّة الأطراف العقلية والبدنية، ليذكر تاريخ انعقاد المجلس ويضع أسفله توقيعيه وختمه مع توقيعات الأطراف والشّهود.

ويلاحظ أنّ الهمزة محذوفة في الكثير من الكلمات ذلك لغلبة رواية ورش عن إمام نافع في قراءة القرآن لدى سكّان بلدان شمال إفريقيا التي لا تنطق فيها الهمزة إلّا همزة القطع. نحو: كايّنة، ماية، بايع، الأيّمة، عيوض: كائنة، مائة، بائع، الأئمة.

ومن أبرز ما نلاحظه أيضًا توظيف ألفاظ قديمة أهمل استعمالها في الوقت الرّاهن، نحو: المسطور، المزبور، المرقوم، وكذا إدراج ألفاظ عثمانية، نحو: خوجة (قائد)، باشا،

(لقب يمنح لأصحاب المناصب العالية)، آغا (سيد أو رئيس وهو لقب للتّعظيم)، حانوت (محلّ)، بايلك (إقليم)، شاوش (حارس)، سنجاق (راية)، سبل الخيرات (الأوقاف)⁴، وغيرها. ومن المميّز كذلك توظيف الأفعال في زمن الماضي، وعدم تكرار ذكر أسماء الأطراف بل يكتفي المحرّر بالإشارة إليهم بالترتيب كقوله: "قبل الثّاني شرط الأوّل"، وهنا نفهم أنّ الثّاني هو مستلم موضوع العقد، وأنّ الأوّل هو مؤسّس موضوع العقد.

إنّ عدم احترام علامات التّنقيط أمر واضح في صياغة هذه العقود بل قد لا يوظّفها المحرّر إطلاقاً إلّا في خاتمة العقد فيضع نقطة التّهاية. وتكون كتابة الأرقام داخل موضوع العقد دائماً بالحروف دون الاعتماد على الرّموز نحو: "سبعة وسبعين" بدل "77"، فيما عدا عند ذكر رقم العقد وتسجيله على الهامش الأيمن فهي تذكر برموز هندية.

ما نميّزه كذلك في تحرير العقود العثمانية الأسلوب السّلس المرن ذا الأفكار المتسلسلة دون انقطاع. هذا من خصائص أساليب السّرد والوصف والإطناب والإسهاب والحشو. فعند قراءة هذه العقود نرى ألفاظاً وعبارات موظّفة بإسهاب، تكون مترادفة وأحياناً تذكر في الجملة نفسها. فبمجرّد الإطلاع على هذه الوثائق نميّز الطّابع العثماني الإسلامي آنذاك. وتكون هذه الألفاظ والعبارات مفخّمة مبالغاً فيها، تعبر عن مكانة الأشخاص في المجتمع ومنصبتهم وهيبتهم ودرجتهم من حيث الفقه والعلم نحو:

"...شهد به المكرّم فلان والمكرّم فلان شهد به."

"...الفقيه العالم العلامة بحر الفهامة فخر القضاة ومعدن الفضل والخيرات ..."

"...فأمر أيّده الله تعالى شيخ البلد وهو الناسك الأبرّ الحاج المعتمر السيّد ..."

"...ورفع أمره في ذلك إلى الهمام الأعظم والخاقان الأكرم فخر الملوك العظام وصوله الأمراء الفخام مولانا السيّد ... بلّغه الله الدارين وأيّده بالتّصر والتّمكين والفتح الميين".

عموماً فعقود الفترة العثمانية صعبة القراءة والفهم أحياناً نظراً لخصائص الخط المغربي المنفردة المعتمد على الضّبط الكوفي. وتتّسم بعدم الوضوح من حيث الشّكل لقدمها واهتلاك ورقها، وتمتاز بالإسهاب في التّعبير والدّقة من حيث المعاني.

2.2. عقود الفترة الاستعمارية

كانت تحرّر على يدّ إمام أو قاض ويمكننا القول أنّها امتداد لعقود الفترة العثمانية.

- من حيث الشّكل:

ما نلاحظه للوهلة الأولى في هذه العقود هو تقييد نصّ العقد بخط يد المحرّر الذي يعتمد على الخط المغربي. ويكون العقد مكتوباً على ورق سميك بعض الشّيء لونه يميل إلى اللّون الخشبي المصفّر. وهو ورق رسمي خاص ذو أبعاد قياسية موحّدة عكس ورق عقود الفترة العثمانية. كما أنّ قراءة الحروف والرّموز تكون صعبة نوعاً ما لتداخل لون الورق المصفّر ولون الحروف والأرقام الفاتح. ويكون الورق مختوماً بختم بارز على هامش العقد وختم جاف يتوسّط العقد بحيث لا يُرى إلا إذا عرضنا الورق إلى الضّوء.

والعقد مقسّم إلى أربعة أجزاء حيث يذكر في الهامش الأيمن نوع العقد ورقمه وتاريخه. ووسط العقد هو المساحة الكبرى التي تتضمّن نصّ العقد كاملاً. وتوضع أسفل العقد بصمات الأصابع والتّوقيعات. ويتضمّن القسم الرّابع الأختام الرّسمية كختم القاضي والمترجم الشّرعي وختم التّسجيل والطّابع.

كما أنّ نصّ العقد وحدة كاملة كذلك غير مقسّم إلى فقرات، يكتب من الهامش الأيمن إلى الهامش الأيسر، وقد يكون قصيراً مثلما يكون طويلاً ذلك حسب مقتضيات موضوع العقد ومتطلّباته. والخطّ المعتمد هو الخطّ المغربي الذي تنعدم فيه قواعد الكتابة وموازينها عكس الخطوط العربية الأخرى. فالحرف الواحد قد يكتب بأكثر من طريقة في الوثيقة نفسها.

- من حيث المضمون:

تمتاز هذه العقود بأسلوب مميز غالباً ما يميل إلى اللّغة العامية آنذاك، إذ نجد كلمات وعبارات عاميّة، وأخرى مقتبسة من العثمانية، وأخرى من الفرنسية، نحو:
جدول 1: أصول بعض المفردات الموظفة في تحرير العقود الشرعية القديمة

المعنى	الكلمة أو العبارة	
الحيّ السّكّني	حومة	من
اسم حرفة من ينادي على السلّعة لبيعها	الدّلال	العاميّة

آلة حراثة تستعمل لقياس مساحة الأراضي	الجابدة	
إقليم أو مقاطعة إدارية	البايك	من العثمانية
موظف المال	الخنزاجي	
الأمر الرسمي المكتوب	فرمان	
	<u>الأصل الفرنسي</u>	
المسجل بحكم	par jugement	بارجيما - بارجيما
موتق	Notaire	نوتير - نوطير
أملاك الدولة	Domaine	دومين - دومان
ملك بلدية - بلدية	Commune- Communal	كومينال - كُومين
طابع	Timbre	تمبر - تامبر

ويلاحظ في نصوص الوثائق أنّ الهمزة محذوفة في الكثير من الكلمات شأنها شأن عقود الفترة العثمانية. وتوظف ألفاظ وعبارات تبرز خلفية المحرّر العربي المسلم وتميّزه عن المحرّر الفرنسي آنذاك، وغالبًا ما ترد مترادفة في الجملة ذاتها، نحو:

"...قاصدًا بذلك وجه الله العظيم وثوابه الوافر العظيم..."

"...أنّه تعالى يجزي المتصدّقين ولا يضيع أجر المحسنين..."

"...إذا قضى الله عليه بالموت الذي لا بدّ منه ولا محيد لكلّ مخلوق حي عنه..."

"...بعد موته ولحوقه مومنا لربّه قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم..."

"...حبسًا مؤبّدًا ووقفًا مسرمدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين..."

يستخدم محرّر الوثائق كلمة "عدد" بدل "رقم" ويسبق في ذكر العدد قبل المسند إليه، نحو: "عدد أربعين ٤٠ بطاقة تعريفه". كما يعتمد كثيرا على رسم الأرقام حروفًا ويُدعمها بالرّموز وذلك للتأكيد عليها، نحو: "أربعين تسعمائة وألف ١٩٤٠". ومن هذا المثال نلاحظ أيضًا أنّ نطق الأعداد يكون من الأحاد إلى العشرات إلى المئات إلى الآلاف.

كذلك فتوظيف الأفعال يكون في زمن الماضي، ولا يتكرّر ذكر أسماء الأطراف بل يكفي المحرّر بالإشارة إليهم بالترتيب كما هو في عقود المرحلة السابقة. ويتسم أسلوب التحرير بالسلاسة والمرونة وتسلسل الأفكار وهذا من خصائص أساليب السرد والوصف.

ومن أبرز ما نلاحظه في عقود هذه الفترة توظيف الأرقام الهندية بدل العربية، ولعلّ هذا راجع إلى الاستناد على نمط تحرير الوثائق العثمانية، وربّما الاستناد كذلك على الكتب العربية الواردة من المشرق المعروف أنّها تستعمل الحروف الهندية. تزخر عقود المرحلة الاستعمارية بالمصطلحات الفقهية والشّرعية ذلك لاعتمادها بالدرجة الأولى على القواعد القانونية الفقهية التي يشرّعها الإسلام. وكذلك لاستنادها على عقود المرحلة العثمانية من حيث نمط التّحرير والصّيغة ومن حيث المضمون أيضاً.

3. الدّراسة التّحليلية لتّرجمات بعض العقود:

اعتمدنا في الدراسة على ثلاثة معايير هي: المعنى والتكافؤ وتعذّر التّرجمة، وعلى هذا الأساس سنحاول استخراج أهمّ الأساليب المعتمدة في التّرجمة.

1.3. عقد وقف من الفترة العثمانية

فيما يلي تحليل لبعض مقاطع عقد وقف يعود للحقبة العثمانية:

- المقطع الأوّل

" الحمد لله ... يشهد به من يوضع اسمه إثر تاريخه شهد بمضمونه وبمعرفة القرن
المسمى الضّفة خارج باب عزون أحد أبواب الجزائر المحمية بالله تعالى المعدّ لرحى
الدّباغة"

« Louange à Dieu. Témoigne est porté par celui qui appose son nom et la date
ci-dessous. Il certifie sa teneur et déclare bien connaître le four pour tannage
dit Dheffa, se trouvant hors Beb Azzoun, l'un des Portes d'Alger que Dieu,
qu'il soit exalté, la protège. »

مزج المترجم في هذا المقطع بين الأساليب المباشرة والملتوية كالتطويع والإبدال والإضافة والحذف في بعض المواضع. وجاءت بعض الألفاظ مكافئة للألفاظ العربية في الشّكل وفي المعنى. ويتجلى كلّ ذلك في الجدول التّالي:

جدول 2: تقنيات الترجمة الموظّفة - مقطع 1 عقد وقف

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
--------------	------------------	---------------

إبدال فعل باسم	Témoigne est porté	يشهد به
تطويع المبني للمعلوم بالمبني للمجهول	Témoigne est porté par celui qui appose son nom	يشهد به من يوضع اسمه
الإضافة	et déclare bien connaitre le four	وبمعرفة الفرن
تطويع صفة بفعل + الإضافة	que Dieu, qu'il soit exalté, la protège	المحمية بالله تعالى

- المقطع الثاني

"معرفة تامة قطعية لازمة معتبرة شرعاً يشهد بها وبأنه حبسًا ووقفًا من جملة أحباس

المسجد المعروف بسيدي رمضان نفعنا الله ببركاته آمين"

« Cette reconnaissance est parfaite, certaine et légalement exigée. Il a requis acte que le dit four est habous, immobilisé et fera retour de habous à la mosquée dit Sidi Ramadan, que Dieu fait nous profiter de ses bénédictions, Amen ! »

قابل المترجم في البداية كل لفظة بمقابلها الفرنسي وبذلك كانت ترجمة الجملة الأولى حرفية. ثم راح يشرح الحبس والوقف فقال: "le dit four est habous, immobilisé et fera retour de habous à la mosquée"، واقترض في ذلك كلمة الحبوس لتعدّر ترجمتها. أمّا بقية المقطع فقد كانت ترجمته حرفية كذلك.

- المقطع الثالث

"وأنه كان المرحوم العالم العلامة القدوة الفهامة السيد ... به شهد خطيب المسجد المذكور يستغله منذ أعوام عديدة وسنين مديدة ولم يستغل أحد غيره في القرن المذكور"

« Ainsi que, d'après le témoignage du prédicateur de ladite mosquée, le défunt, le savant et le modèle à suivre, Monsieur ... , l'exploitait depuis un temps immémorial et que personne d'autre n'exploitait le dit four. »

لا تختلف ترجمة هذه الجملة كثيرًا عن السابقة حيث لجأ المترجم إلى المكافئات اللفظية والشرح من خلال التقديم والتأخير. فقدّم شهادة خطيب المسجد في الفرنسية.

كما أنه حذف لفظي "العلامة، الفهامة" لتعدّر نقلهما إلى الفرنسية في لفظة واحدة ولتجنّب الإطناب في الترجمة. فالعلامة صيغة مبالغة للعالم⁵ وهو الشّخص الغزير العلم، والفهامة صيغة مبالغة للفاهم⁶ وهو الشّخص الدّارك الفقيه للأشياء. فاكتمى المترجم عندئذ بنقل مفهوم كلمة العالم وحذف بقيّة الصّفات الأخرى. وقد عبّر أيضا عن عدد سنين الاستغلال بصفة واحدة وحذف "سنين مديدة" لأنّها ترادف "أعوام عديدة".

جدول 3: تقنيات الترجمة الموظّفة – مقطع 3 عقد وقف

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
العالم	Savant	التكافؤ اللفظي
خطيب	Prédicateur	
العلامة - الفهامة	-----	الحذف
القدوة	modèle à suivre	التكافؤ اللفظي مع الإضافة
أعوام عديدة وسنين مديدة	temps immémorial	تطويع الجزء الكلّ مع الحذف

- المقطع الرابع

"وكلّ ذلك في علمه ومقرّر في ذهنه لا يشكّ ولا يرتاب"

« *Il déclare bien connaitre tout ce qui précède, chose tenace à l'esprit, en pleine possession de la certitude sans aucun doute.* »

أبدل المترجم هنا وظائف عدّة ألفاظ ممّا اضطرّه إلى إضافة بعض العناصر اللغوية. فأبدل الاسم "علم" بالفعل "connaitre" وإضافة الفعل "déclare" و"tout ce qui précède" للتعبير عن "كلّ ذلك في علمه". كما أضاف كلمة "chose" التي تعود على ما ذكر سابقًا. وطوّع الفعل المنفي "لا يشكّ" إلى جملة اسمية مؤكدة. ويوضّح الجدول التّالي الأساليب المستعملة في نقل هذه الجملة إلى الفرنسية.

جدول 4: تقنيات الترجمة الموظّفة – مقطع 4 عقد وقف

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
علم	connaitre	تكافؤ لفظي
وكلّ ذلك في	Il déclare bien connaitre tout ce qui	الإضافة

	précède	علمه
الإضافة	chose tenace	مقرّر
تطويع النَّفي بالإيجاب+الإضافة	en pleine possession de la certitude	لا يشكّ
إبدال الفعل بالمصدر	sans aucun doute	لا يرتاب

- المقطع الخامس

"شهادته هنا مسؤولة منه لسايلها متى دعي إليه بتاريخ ... شهد به المكرّم و... شهد به."

« *Son témoignage est exigé chaque fois il sera appelé à en témoigner.*

En date du ..., témoignage est porté relativement à ce que dessus par Monsieur ..., et Monsieur... »

جاءت ترجمة الجزء الأوّل من الجملة حرفية مقابلة للألفاظ العربية من حيث الشّكل والمعنى ما عدا إعادة ذكر الغرض من استدعاء الشّخص للشّهادة، فقال المترجم: "il sera appelé à en témoigner"، رغم عدم ذكرها في العربية "متى دُعي إليه".

ونلاحظ أنّ المترجم قد تجنّب ترجمة "المكرّم" وقال مباشرة "Monsieur". ونرى أنّه كان من المناسب جدّاً نقل هذه اللفظة بمكافئها الوظيفي "honorable" لأنّ محرّر هذا العقد الذي يعود للفترة العثمانية، كان في وسعه التّعبير عن الشّاهد بلفظة "السّيّد" إلّا أنّه فضّل توظيف "المكرّم" ليرفع من شأن صاحب الشّهادة ويبرز مكانته الاجتماعية والعلمية آنذاك لتكون شهادته جائزة لا تشوبها شائبة.

2.3. عقد وصية شرعية من الفترة الاستعمارية

نتناول هنا أهمّ الجمل والعبارات التي وردت في عقود الوصايا القديمة، وهي كالتالي:

- المقطع الأوّل

"... أشهد على نفسه أنّه إذا قضى الله عليه بالموت الذي لا بدّ منه ولا محيد لكنّ

مخلوق حي عنه..."

ترجمة 1: « *a requis de constater que lorsque Dieu décrètera sa mort, chose*

inévitabile et à laquelle nulle créature vivante ne peut échapper,... »

«... a témoigné contre lui-même que lorsqu'Allah décrètera sa mort, chose inévitable et à laquelle nul homme vivant ne peut échapper, ...» ترجمة 2:

«... a requis acte contre lui-même que lorsqu'Allah décrètera sa mort, chose que nulle créature vivante ne peut éviter ni y échapper, ... » ترجمة 3:

هناك فريق من الفقهاء من يقول أنّ ألفاظ الشّهادة المعتبرة شرعاً حينما يتعلّق الأمر بالإقرار على النّفس هي أن يقول المرء: أشهد على نفسي كذا⁷. وعند المقارنة بين التّرجمات الثلاثة نلاحظ أنّ الأوّل قد اعتمدت على نقل معنى الشّهادة على النّفس بترجمة حرفية للفعل مع حذف "على النّفس"، ولجأ المترجم الثّاني إلى التّرجمة الحرفية في حين ابتعد الثّالث عنها واعتمد على التّرجمة الوظيفية مع الإبقاء على المعنى الحقيقي لشهادة المرء على نفسه فقال: "a requis acte contre lui-même".

نلاحظ كذلك تنوعاً في توظيف التّكافؤ (اللفظي والوظيفي) في نقل لفظ الجلالة، ولعلّ هذا راجع لقناعة المترجم بالحياد أو بإثبات ذاتيته في التّرجمة لتعدّد هذه الأخيرة. نرى أنّ عبارة "الموت الذي لا بدّ منه" قد نقلت بموصوف وصفة واحدة "chose inévitable". لقد لجأ المترجم إلى أسلوب الإبدال لأنّه قد غير معناها وظيفية الجملة الموصولة في محلّ صفة، ونقلها إلى الفرنسية بصفة. فقد كان من الممكن أن ينقلها حرفياً فيقول: "chose qu'on ne peut éviter"، لكنّه فضّل أن يكون تعبيره وجيزاً فالبلاغة الإيجاز.

وفي نهاية الجملة اختلاف واضح في نقلها. فالأوّل والثّاني اعتمدا على إبدال وظيفة "معيد" النّحوية إلى جملة فرعية متعلّقة بالأوّل "laquelle nulle créature vivante ne peut échapper". ويقال: "ما لك معيد عن هذا" أي "ما لك مفرّ منه"⁸، لذلك وظّفنا في الفرنسية فعلاً يدلّ على الفرار "échapper".

والفرق بين التّرجمة الأوّل والثّانية هي الاختلاف في ترجمة "مخلوق حيّ"، حيث نقلها الأوّل حرفياً "créature vivante"، بينما الثّاني طوّعها إلى الإنسان وهو جزء من المخلوقات الحيّة "homme vivant"، لعلّه في ذلك استند إلى أنّ مؤسس موضوع العقد إنسان لا غير.

جدول 5: تقنيات الترجمة الموظّفة – مقطع 1 عقد وصية

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
مخلوق حيّ	créature vivante	ترجمة حرفية
	homme vivant	تطويع الكلّ بالجزء

أما المترجم الثالث فقد نقل الجزء الأخير مع الإبقاء على وظيفة الجملة النحوية ذاتها وهي جملة الموصول، غير أنه لم يُبق على وظائف العناصر اللسانية المكوّنة لها فأبدل بعضاً منها. لذا يمكننا القول أنه قد تصرّف من حيث الشكل وذلك للتعبير بإيجاز كما أنه حافظ على المعنى الأصلي بأمانة. لذلك نميل إلى تفضيل هذه الترجمة على سابقتها.

- المقطع الثاني

"أوصى بثلاث جميع ما يخلفه موروثاً عنه من قليل الأشياء وكثيرها وجليلها وحقيرها"
« il lègue le tiers de ce qu'il laissera comme succession soit peu ou prou, que la quantité soit considérable ou de peu de valeur. »

جاء الفعل "أوصى" في الماضي، وهذا من خصائص اللغة القانونية العربية. ونقل المترجم الفعل إلى زمن المضارع في الفرنسية "lègue"، وهذا تطويع أزمنة الأفعال. كما أنّ من خصائص لغة القانون الفرنسية توظيف الفعل في زمن المضارع. ونقل عبارة "ما يخلفه موروثاً عنه" حرفياً "ce qu'il laissera comme succession". فاستعمل كلمة فرنسية قديمة للتعبير عن كثير الأشياء "prou"⁹. وفضّل أن يضيف كلمة "quantité" التي تدلّ على الكميّة ليعبر عن قيمة الأشياء "جليلها أو حقيرها"، وشرح الكلمة الأخيرة منها بقوله "de peu de valeur".

والملاحظ أنّ المترجم قد اعتمد على أساليب عديدة لترجمة جملة واحدة. فقد لجأ إلى التكافؤ اللفظي والترجمة الحرفية والتطويع والإضافة والشرح.

- المقطع الثالث

"تنفذ له الوصية بعد موته ولحوقه مؤمناً لربه"
« Il sera exécuté après la mort du testateur et lorsque celui-ci aura rejoint Dieu en véritable croyant. »

ترجمة 2: « *Il sera exécuté après le décès du testateur et sa réunion à Allah en croyant sincère.* »

استعمل المترجم الأول كلمة "mort" بينما استعمل الثاني "décès" وكلاهما مكافئان لفظيَّان للوفاة، واختلفا على نقل الجزء الأخير من هذه الجملة "ولحوقه مؤمناً لربّه"، حيث لجأ الأول إلى شرح اللّحوق، في حين اكتفى الثاني بالمكافئ الوظيفي "réunion" الذي يعني اللّقاء أيضاً. وأضاف كلّ منهما صفة الصّدق للمؤمن.

جدول 6: تقنيات الترجمة الموظّفة – مقطع 3 عقد وصية

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
لحوق	lorsque celui-ci aura rejoint	الشّح
	réunion	التكافؤ الوظيفي
مؤمن	véritable croyant	الإضافة
	croyant sincère	الإضافة

- المقطع الرابع

"شهد عليه بذلك حال الجواز إلا أنّ به مرضاً هو معه مضطجع بفراشه داخل بيته..."
« *Dont acte pris relativement à ce que dessus contre le testateur qui se trouvait dans l'état de capacité, étant toutefois atteint d'une maladie qui le forçait à rester couché dans son lit, à l'intérieur de sa chambre ...* »

كانت ترجمة هذا المقطع تفسيرية موضّحة بعض النّقاط مثل "حال الجواز" التي تفيد بأهلية الموصي للتعاقد، فجاءت على النّحو التّالي: "qui se trouvait dans l'état de capacité". واحتاج المترجم إلى إضافة الجملة "le forçait à rester" لأنّه لو اكتف بقول "couché" لكان نقل معنى "مضطجع" ناقصاً. ولجأ إلى أسلوب تطويع الجزء بالكلّ حين ترجم "بيت" بكلمة "chambre".

- المقطع الخامس

"ثابت الذهن والميز يفهم الخطاب ويحسن ردّ الجواب"

« *mais il était en pleine possession de son intelligence et de son discernement, sachant ce qu'il disait et répondant bien aux questions qui lui était posées* »

احتاج المترجم في هذا المقطع أيضاً إلى التكافؤ اللفظي مع الشرح وإضافة بعض العناصر اللغوية ليكون نقل المعنى سليماً وكافياً. فأضاف "le forçait à rester" ولم يكتف بقول "couché"، وأضاف "pleine" ليدلّ على سلامة العقل وصحته، إلاّ أنّه أورد معنى عكسياً في ترجمة "يفهم الخطاب" إذ أن من يتلقى الخطاب هو الذي يفهمه ومن يُلقى الخطاب هو مرسله، ونرى ذلك في الجدول التالي:

جدول 7: تقنيات الترجمة الموظّفة – مقطع 5 عقد وصية

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
ثابت	il était en pleine possession	الشرح
الذهن	intelligence	تطويع الكلّ بالجزء
الميز	discernement	التكافؤ اللفظي
يحسن ردّ الجواب	répondant bien aux questions qui lui étaient posées	الإضافة (التوسيع)
يفهم الخطاب	disait bien	معنى عكسي

إن أفكار هذه الجملة مرتبطة بفكرة المقطع السابق التي تذكر مرض الموصي، وربما قد يؤدّي مفهوم مرضه إلى الانتقاص من أهليته، لذلك فضّل المترجم أن يدعم المعنى برابط اعتراضى هو "mais"، وبرابط آخر هو الفعل "sachant" للتأكيد على أنّ الموصي في كامل قواه العقلية وبذلك هو مؤهل للوصية. ولبلوغ معنى مكافئ في هذه الجملة، نقترح الترجمة التالية:

... mais il était en pleine possession de son intelligence et de son discernement, sachant ce qu'il comprenait le discours déroulé et répondait bien aux questions posées.

3.3. عقد هبة من الفترة الاستعمارية

فيما يلي تحليل لبعض المقاطع من عقد هبة من الفترة الاستعمارية:

- المقطع الأول

"فقبل الموهوب له ذلك منه هبة واتّهابا صحيحين شرعيين"

ترجمة 1: « *Le donataire a accepté de lui ce qui précède. Les présentes donations et libéralités sont valables, régulières.* »

ترجمة 2: « *Le donataire a accepté l'objet de la donation. Une donation et acceptation valables et régulières.* »

قسّم المترجم الجملة العربية إلى جملتين مع الشرح والتفسير كإضافة " *ce qui précède*"، ليبيّن أنّ الموهوب له قد قبل بكلّ ما ذكر آنفًا، بينما اكتفى الأصل بقوله: "ذلك". وأكدت الترجمة الثّانية على قبول موضوع الهبة. وفي كلتا الحالتين وظّفت تقنية الشّرح لتوضيح الفكرة والتأكيد عليهما.

من الواضح الاختلاف في ترجمة هذه الجملة من حيث نقل مفهومي الهبة والاتّهاب، فالهبة هي العمل التبرّعي بينما الاتّهاب هو قبول الهبة¹⁰. غير أنّ الأوّل نقل المفهومين على أنّهما واحد فقال: *donations et libéralités*. فكلّ من اللفظتين¹¹ *donation* و¹² *libéralité* تدلّان على الهبة والتبرّع. لا على قبول الهبة. فحذف عن غير قصد أمرًا هامًا وعوّضه بمفهوم ثانٍ. بينما وضّحت الترجمة الثّانية الفرق بين الهبة والاتّهاب واكتفى المترجم بالتكافؤ اللفظي الذي جاء مناسبًا وأمينًا شكلا ومعنىً.

- المقطع الثاني

"صدرت منه له من غير حشمة عليه ولا إلحاح ولا إكراه ولا مراودة"

« *Le donateur a fait cette donation au profit du donataire sans y avoir été poussé par aucune obsession, incitation, contrainte ni sollicitation.* »

يعيد المترجم في الفرنسية ذكر فعل الوهب: "a fait cette donation"، على عكس العربية التي اكتفت بـ "صدرت منه". ونلاحظ الإيجاز في التعبير العربي أما الترجمة فقد كانت توضيحاً صريحاً وتأكيداً على الطرفين وعلى الفعل الأساسي:

" Le donateur a fait cette donation au profit du donataire sans y avoir été poussé"

جدول 8: تقنيات الترجمة الموظفة – مقطع 2 عقد هبة

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
حشمة	obsession	تكافؤ وظيفي
إلحاح	incitation	تكافؤ لفظي
إكراه	contrainte	تكافؤ لفظي
مراودة	sollicitation	تكافؤ وظيفي

- المقطع الثالث

"وقصد بها وجه ربه العظيم ورجاء ثوابه الجسيم"

ترجمة 1: « *Il a eu en vue par cette libéralité l'image de Dieu l'Immense et l'espoir de sa large rémunération, »*

ترجمة 2: « *Il a eu en vue par cette libéralité la recherche de la Face de son Seigneur et l'espoir de la récompense divine, »*

ترجمة 3: « *Il a eu en vue par cette libéralité le Visage de Dieu et l'espoir de s'éloigner de son châtement, »*

يعيد المترجم مرة أخرى لفظة دالة على الهبة "libéralité" بينما أُشير إليها بضمير متصل في العربية. نقل المترجم الأول والثالث لفظ الجلالة إلى الفرنسية بمكافئ لفظي "Dieu"، بينما نقلها الثاني بلفظة "Seigneur" التي تعني حرفياً "الرب". وكلمة رب لها دلالات عدّة مثل رب البيت "maître du maison" أي صاحبه الأمر فيه، وربّ الإبل "propriétaire de chameaux" أي مالِكها. أمّا ربّ العالمين فتدلّ على الخالق والمولى والمالك والمتصرّف، ولا يستعمل الربّ لغير الله إلاّ بالإضافة كما في المثالين السابقين، وأمّا الربّ فلا يقال إلاّ لله عزّ

وجل¹³. ولذلك نرى أنّ المترجم الثّاني اعتمد على التّكافؤ الوظيفي عندما لجأ إلى لفظة "Seigneur" الّتي لا تستعمل في الفرنسية كذلك إلاّ لله تعالى.

والملاحظ هنا أنّ ترجمة "وجه" اختلفت أيضًا. نعتقد أنّ "image" و"face" هما الأكثر توفيقًا في مقابلة "وجه الله" في الفرنسية، حيث جاءت الأولى صورة شاملة لصفات الله تعالى، وكانت الثّانية أمينة من حيث الشّكل والمعنى. ومن دون شكّ تدلّ كلمة "visage" دلالة واضحة على تكوين جسدي قد يودّي بالقارئ إلى الخطأ والوقوع في التّجسيد. لذا كان لا بدّ من الحذر في استخدام التّكافؤ اللفظي والاعتماد غالبًا على التّكافؤ الوظيفي.

جدول 9: تقنيات الترجمة الموظّفة – مفردة "وجه" عقد هبة

الأصل العربي	الترجمة الفرنسية	تقنية الترجمة
وجه	image	تكافؤ وظيفي
	face	تكافؤ لفظي
	visage	

لقد اعتاد المجتمع الجزائري على توظيف هذه العبارة في سياقاته اليومية، غير أنّ لا شيء في الحقيقة قد يحمل معنى "وجه الله" بمعناه الحقيقي لأنّ لله وحده يعلم ذلك. وقد اختلف مفسّرو القرآن في تأويلها، فهي تدلّ على رجاء ثواب الله ورضاه¹⁴، وقيل أنّ الوجه هو الاتجاه أي التّقرّب من الله والابتعاد عن عقابه. وهذه الدلالات بما لها من خلفيات دينية وفقهية وثقافية واجتماعية أيضًا، يتعدّد نقلها عمومًا إلى لغة الآخر.

ولأنّ معنى "لوجه الله" الذي اتفق عليه الفقهاء هو الإخلاص في العمل التّعبدي¹⁵، نقترح أن يكون النّقل تفسيريًا مع الشّرح لتجنّب تعدّد التّرجمة، ونربط هذه الجملة مباشرة مع سابقتها، حتّى لا يكون هناك شرخ في الفكرة الأساسيّة ونكون بذلك قد أوجزنا في التّعبير:

...ayant une intention purement vouée à son Seigneur espérant sa large récompense.

نميّز كذلك اختلافاً في استخدام تقنيات التّرجمة في نهاية هذا المقطع غير أنّها كانت أمينة للمعنى الأصليّ عمومًا. فاستخدم الأوّل التّكافؤ اللفظي، واعتمد الثّاني على التّكافؤ الوظيفي بينما لجأ الثّالث إلى تطويع الإيجاب بالنّفي.

جدول 10: تقنيات التّرجمة الموظّفة – مقطع 3 عقد هبة

العربي	التّرجمة الفرنسيّة	تقنية التّرجمة
رجاء ثوابه الجسيم	l'espoir de sa large rémunération,	تكافؤ لفظي
	l'espoir de la récompense divine,	تكافؤ وظيفي
	l'espoir de s'éloigner de son châtement,	تطويع الإيجاب بالنّفي

4. الخاتمة

بعد معالجة النماذج موضوع الدراسة اتّضح أن ترجمة العقود الشرعية القديمة تتطلب قبل كل شيء استكشاف النّص من حيث البنية والأسلوب. وتبيّن أن المترجمين قد وظفوا العديد من التقنيات المباشرة والملتوية ساعين في ذلك إلى تحقيق التّكافؤ الوظيفي من خلال تقصي العناصر اللّغوية والسّياقية الثّقافية. فقد اعتمدوا على الاقتراض لما كانت الألفاظ غريبة تمامًا عن الفرنسيّة، واجتهدوا في شرحها وتفسيرها، ونقلوا حرفيًا لما كان المستوى الحرّفي لا يخلّ بالمعنى ولا ينقص منه شيئًا، وأضافوا عناصر لتفادي الخسارة في المعنى، ولجأوا إلى التّطويع لمراعاة اللّغة المنقول إليها وبلاغتها وروحها، لكنهم لم يتصرّفوا في المعنى أبدًا ولم يتجرّموا بحريّة، ذلك أنّ طبيعة هذه النّصوص لا تجيز التّصرّف في المعاني ولا بلوغ مستوى التّرجمة الحرّة.

لقد راعى المترجمون معايير الأمانة والمعنى وتعذر التّرجمة، من خلال ترجمة انتقائية دقيقة، فركّزوا على وضوح الأسلوب ودقّته وحافظوا على روح النّص الأصليّ وأوجدوا حلولاً كفيلة لتفادي تعذّر التّرجمة والأهمّ من ذلك فقد نقلوا المعنى بدقّة وأمانة.

الهوامش:

¹ ينظر أفأ، عمر، و المغراوي، محمد، (2007)، الخط المغربي تاريخ وأفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص 13.

² ينظر نفسه، ص 32.

³ جمعة، إبراهيم، (1969)، دراسة في تطوّر الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص 96.

⁴ المصري، حسين مجيب، (1989)، معجم الدّولة العثمانية، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ص 72-75.

- ⁵ الزيات، أحمد حسن وآخرون، (1384 هـ)، المعجم الوسيط، الصادق للطباعة والنشر، إيران، مادة (ع ل م).
- ⁶ نفسه، مادة (ف ه م).
- ⁷ ينظر بن محمد الزين، عبد الله، (1409 هـ)، مجلة البحوث الإسلامية، حكم الشهادة والحكمة من مشروعيتها وأركانها، الرياض، ع 25، ص 129-149.
- ⁸ الزيات، أحمد حسن وآخرون، (1384 هـ)، مادة (ح ا د).
- ⁹ Larousse, Pierre, (2021), Dictionnaire de Français Larousse, Hachette : www.larousse.fr (consulté le 30 décembre 2021).
- ¹⁰ ينظر ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، ج 15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مادة (و ه ب).
- ¹¹ Cornu, Gérard, (2000), Vocabulaire juridique, Presses universitaires de France, Paris, p.383.
- ¹² Idem, p. 309.
- ¹³ بن كثير، أبو الفراء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، (1999) تفسير القرآن العظيم، ت: السلامة، سامي بن محمد، ج 1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، ص 21.
- ¹⁴ نفسه، ج 3، ص 582.
- ¹⁵ ينظر ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين، (1986)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج 6، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ص 217.

قائمة المراجع

1. ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين، (1986)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
2. ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، ج 15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
3. أفا، عمر، و المغراوي، محمد، (2007)، الخط المغربي تاريخ وأفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
4. بن كثير، أبو الفراء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، (1999) تفسير القرآن العظيم، ت: السلامة، سامي بن محمد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2.
5. بن محمد الزين، عبد الله، (1409 هـ)، مجلة البحوث الإسلامية، حكم الشهادة والحكمة من مشروعيتها وأركانها، الرياض، ع 25، ص 129-149.
6. جمعة، إبراهيم، (1969)، دراسة في تطوّر الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
7. الزيات، أحمد حسن وآخرون، (1384 هـ)، المعجم الوسيط، الصادق للطباعة والنشر، إيران.
8. المصري، حسين مجيب، (1989)، معجم الدولة العثمانية، مكتبة الانجلو المصرية، مصر.
9. Larousse, Pierre, (2021), Dictionnaire de Français Larousse, Hachette : www.larousse.fr (consulté le 30 décembre 2021).
10. Cornu, Gérard, (2000), Vocabulaire juridique, Presses universitaires de France, Paris.